الرقص ومصففي الشعر والمصورين والخياطين والفرق الموسيقية. كما انخفضت مهور الزواج التي كانت باهظة، وغدت أقرب الى ان تكون رمزية. فعلى سبيل المثال، اتفق الاهالي في مدينة نابلس والقرى والمخيمات المجاورة لها على تخفيض مهور الزواج الى ٢٠٠ دينار اردني، بعد ان كان المهر يصل الى ألف دينار[٢٧]، وذلك خفضاً للنفقات، لتوجيهها الى المقاومة، من ناحية، وتشجيعاً على الزواج والانجاب، من ناحية أخرى. وفي الوقت عينه، انحسرت ظاهرة الطلاق بشكل غير مسبوق، وتقلّصت الجرائم، بل واختفت في معظم الاحوال، بعد ان كانت نسبتها عالية الى حد ما قبل الانتفاضة، بسبب عدم اهتمام سلطة الاحتلال بالأمن الداخلي، بل وسعيها الى خلق الحزازات والعداءات الصغيرة بين العائلات، فضلاً عن تأثيرات الاحتكاك بالمجتمع السفلي في اسرائيل.

كما أدّت الانتفاضة الى تدعيم قيم التضامن الاجتماعي، لتصل الى أرقى تعبير عنها على نحو يعكس الوحدة المصيرية للشعب، حيث يصبح الشهيد ابن المخيم كله والمدينة جميعها والشعب بأسره، وكذلك المصاب والمعتقل. ويكاد لا يخلو نداء، من نداءات القيادة الموحّدة، من توجيه لزيارة الجرحى والمعتقلين واسر الشهداء، بل ان نداءات منفصلة خصصت لهذه الفئات وسمّيت باسمائها، عرفاناً وتقديراً لأهمية الدور الذي قامت به. ويكاد تشييع الشهيد الى مثواه ان يتحوّل الى مهرجان وطني، بل والى عرس، تجلجل فيه الاناشيد الوطنية وهتافات مثل «بالروح، بالدم، نفديك يا شهيد»، و«يا أم الشهيد زغردي، كل الشباب اولادك»[٢٨].

وهكذا يمكن القول ان قيماً ايجابية برزت خلال العام الاول للانتفاضة مصاحبة لنمط الحياة الجديد الذي يتّسم بالتضحية التي تفرضها حدّة المواجهة مع الاحتلال. وبذلك تكون الانتفاضة قد أعادت تشكيل بناء القيَم الاجتماعية في اتجاه خلق الانسان الفلسطيني من جديد، ليس بمعنى انه كان بعيداً من هذه القيم والاخلاقيات الثورية، وانما بمعنى ترسيخ هذه القيَم، من خلال الممارسة اليومية المتصلة.

نهاية القيادة التقليدية

وهكذا ادّت مشاركة مختلف الفئات الاجتماعية في الانتفاضة الكبرى، على هذا النحو، الى تعزيز مركز ودور النخبة الجديدة المرتبطة بمنظمة التحرير الفلسطينية، والتي تتولّى قيادة الانتفاضة بالتنسيق مع المنظمة من خلال القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة. ولذلك، يمكن القول، ان الانتفاضة تعتبر آخر «محطة» في عملية تحوّل النفوذ السياسي من النخبة التقليدية القديمة («الوجهاء» واعوانهم) الى القيادة الجديدة، بما أدت اليه من استئصال ما بقي لدى هذه النخبة من نفوذ. فقد فقدت القيادات التقليدية آخر قدرة على السيطرة على الاحداث في ظل الانتفاضة، التي خلقت بناء تنظيمياً جديداً تقوده القيادات الشابة، سواء القادمة من الاصول الاجتماعية نفسها او من اصول اجتماعية مغايرة، وهو البناء الذي استطاع ان يفرض نفسه بديلاً من الادارة الاسرائيلية التي يعمل معظم القيادات التقليدية في اطارها[٢٩].

لكن الملاحظ ان قيادة الانتفاضة حرصت على عدم البدء بمعاداة القيادات التقليدية، وانّما سعت، على العكس، الى اجتذابها الى مجرى النضال الوطني، باستثناء العناصر المعروفة بعمالتها الصريحة لسلطات الاحتلال. ففي معظم الاحيان، عندما تقوم اللجان الشعبية بعزل مختار القرية مثلاً، فانها تبقيه رئيساً شرفياً لها، في الوقت الذي تنتقل السلطة الحقيقية الى هذه اللجان، التي يصير لها القرار في ما يتعلق بشؤون الحياة اليومية[٣٠]. وحتى عندما يكون مختار القرية معروفاً